القسم الأول

حياة المقري

أسرته :

في إقليم الزاب بالمغرب الأوسط ، وقرب قلعة بني حمّاد ، مدينة جميلة ، تحيط بها البساتين ، وتجري حولها الأنهار ، بينها وبين طُبْنة ثمانية فراسخ كما قال ياقوت .

في هذه المدينة مقرّة استقرت أسرة عربيّة قرشيّة لا نعرف متى كان حلولها بها ، وكم مدّة مُقامها فيها ، وإنما الذي عُرف أنها استقرت بمقرّة إلى أن انتقل منها الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر علي القرشي صحبة شيخه الصالح أبي مَدْين (١) إلى تلمسان في القرن السادس الهجري ، وهناك كثرت فروع هذه العائلة التي عُرفت بعائلة « المقري » وذاع صيتها ، وعظم جاهها ، فهي زيادة على عروبتها القرشيّة اشتهرت بالعلم والثراء .

(١) هو شعيب بن الحسين الاندلسي . شيخ المشائخ . وسيد العارفين . كما كان يلقب . توفي سنة ٥٩٤ هـ .

انظر ترجمته المطولة التي نقلها المقري عن كتاب « النجم الثاقب . فيما لاولياء الله تعالى من المناقب » لابي عبد الله محمد بن التلمساني . نفح الطيب ج ٩ ص ٣٤٢

الذي جلبته لها التجارة ؛ لأن عائلة المقري ، كانت تشتغل بالتجارة بين تلمسان ، وسجلماسة ، وبلاد السودان .

قال أبو عبد الله محمد المقري جد صاحب النفح « . . . وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر ، والسجلماسي كلسان الميزان ، يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ، ويكاتبهما بأحوال التجارة ، وأخبار البلدان ، حتى اتسعت أحوالهم (١) » وأصيبت التجارة بتدهور لما افتتح التكرور السودان ، ثم رجعت إلى ما كانت عليه ، وقد تكوّنت علاقات حسنة مع التكرور ، واستمرت العائلة في أعمالها التجارية الواسعة النطاق ، حتى خلف خلف أضاعوا التعثير ، وأنفقوا مما وجدوا مع توالي الفتن ، وجور السلاطين ، وبذلك اضمحلت التجارة مورد غناهم .

ولما أدرك أبو عبد الله المقري ، لم يجد ذلك الثراء الواسع الذي يبدو أنه لم يعد للعائلة مرة ثالثة ؛ وأما العلم ، فقد امتد فيما أعلم إلى وفاة صاحب النفح ؛ وأما الجاه فلم يزل ممتدا . فرئيس حكومة المغرب الأقصى الحالي ، ينتسب لهذه العائلة التي عرفت الثراء والمجد . وانتسبت للعلم انتسابا قويّا ، حقّق خلوداً .

---

(١) نفح الطيب ج ٧ ص ١٣١

نسبه وولادته :

ومن هذه الأسرة صاحبنا شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي ابن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد ، أبو العباس المقري التلمساني .

قال في مقدمة النفح ، وفي صفحة ٣٤٢ من الجزء التاسع ، إنه ولد بتلمسان ، ولكنه لم يعيّن لنا سنة ميلاده ، وكذلك الذين كتبوا عنه ، فإنهم أهملوها أيضا . ويرى الأستاذ ليفي بروفنسال ، أنه ولد سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩١ ـ ١٥٩٢ م) ولكن قول المقري نفسه « . . . إلى أن ارتحلت عنها (يعني تلمسان) في زمن الشبيبة ، إلى مدينة فاس سنة تسع وألف (١) » يدل على أنه ولد قبل هذا الزمن ؛ لأن من بلغ زمن الشبيبة ، فقد جاوز تسع سنين ؛ ويرى الأستاذ عبد الله عنان ، أنه ولد سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤م) ويشير إلى الفقرة المتقدمة ، ويستدل أيضا بإشارة المقري حين التحدّث عن اعتزامه كتابة النفح ، إلى شبابه الذاهب الذي قضاه ببلاد المغرب قبل سفره إلى المشرق . يستدلّ بذلك على انه كان إذاك في نحو الخامسة والثلاثين .

ونستطيع أن نستدل أيضا على أنّ المقري حين رحل إلى فاس المرة الثانية ، لم يكن عمره ١٣ سنة حسب تاريخ الولادة الذي عيّنه بروفنسال ، وإنما كان عمره ٢١ سنة إن لم يكن أكثر بقول المقري « . . . بعد أن نعمنا برهةً من الزمان في ظلال الأمان ، وقطعنا نبذة من الشباب في مواطن

(١) نفح الطيب ج ٩ ص ٣٤٢

الأحباب» فالمقري زيادة على أنه كان في عهد الشباب بتلمسان، فقد قطع منه نبذة.

تعليمه:

نشأ المقري بتلمسان في ظل والده محمد المقري، الذي كان شاذليّ الطريقة (١) ولهذه الفقرة أهمّية سيأتي بيانها.

ولما كبر قليلا لقن القرآن الكريم فحفظه. ولازم حلقات العلماء في تلمسان التي كانت في ذلك العصر مركزاً عظيما للدراسات الدينية. وأسعفته حافظته الجبارة التي كان يتفوّق بفضلها على أقرانه في الدراسة، كما أعلمنا بذلك. فإذا هو يعلم من أمر الحديث والفقه، وعلم الكلام، وسير الرجال الشيء الكثير، ولم يزل حدثا.

والشيخ الذي أفاده كثيراً، ورعاه، هو عمه أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري. فقد قرأ عليه صحيح البخاري سبع مرات. وها هو ذا أبو العباس نفسه، يشير إلى قراءته البخاري على عمه في إحدى الإجازات فيقول:

وقد أخذتُ جامع البخاري * عن عمي الإمام ذي الفخار
المقري سعيد الإمام عن * محمد يدعى خروفا حين عنّ (٢)

وروى عنه الكتب الستة عن أبي عبد الله التّنسي، عن والده محمد بن عبد الله التنسي، عن أبي عبد الله بن مرزوق، عن أبي

(١) انظر رسالة الصديقي في آخر فتح المتعال مخطوطة الصادقية رقم ٩٧٥
(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١٨٥

حيّان ، (١) عن أبي جعفر بن الزبير ، عن أبي الربيع ، عن القاضي عياض بأسانيده المذكورة في الشفا (٢)

ولم يزل المقري في تلمسان « بين دراسة ودراية ورواية ، وممارسة أمور تبعد عن طرق الغواية ، وتجبير طروس ، وملازمة دروس ، ومثول بين يدي أشياخ مجالستهم نامية الغروس» (٣) إلى سنة ١٠٠٩ هـ

رحلته إلى فاس :

في أصيل من أصائل سنة ١٠٠٩ هـ رحل المقري ـ أول مرة ـ إلى فاس ، وأخذ هنالك عن الشيخ القصّار ، وابن أبي النعيم ، وأحمد بابا التنبكتي السوداني ، وابن عمران وغيرهم .

وبقي في فاس إلى سنة ١٠١٠ هـ (٤) وفي أواخر هذه السنة ، عاد إلى تلمسان ، ثم عاد مرة ثانية إلى فاس سنة ١٠١٣ هـ حيث استقر بها إلى أن ارتحل إلى المشرق . أما ما قاله عبد الله عنان من أنه زارها مرة أخرى سنة ١٠١١ هـ فغير صحيح . فالمقّري يخبرنا بأنه عاود الرجوع في سنة ١٠١٣ هـ

---

(١) أشار المقري إلى أن روايته ، تتصل بأبي حيان من طرق عديدة . نفح الطيب ج ٣ ص ٣٣١

(٢) الأحاديث المسندة في الشفا ستون حديثا جمعها بعضهم في تأليف مستقل .

(٣) من مقدمة أزهار الرياض .

(٤) وفي هذه السنة (١٠١٠ هـ) ذهب إلى مراكش ، وحضر احتفال المنصور الذهبي بالمولد النبوي الشريف . انظر حديثه عن ابن عباد في نفح الطيب ج ٣ ص ١٧٩ الطبعة الازهرية .

فقط . أما السنة التي ذكرها الأستاذ ، فلم نعثر عليها . وما قاله صاحب صفوة مَن انتشر فيما نقله عنه مؤلف تعريف الخلف من أن المقري « رحل لمرّاكش عام ١٠١٠ هـ فاقام بها سنتين ، ثم رجع إلى فاس (١) » فيظهر أنه تخليط .

ورحلة المقري إلى فاس لها أسباب . لم يذكرها حين تحدث عنها . وقال محققو أزهار الرياض إن هنالك أسبابا سياسيّة . اقتضت منه الرحيل . ولم يميطوا عنها اللثام (٢)

ويبدو أن هذه الأسباب التي لا نشك في وجودها ، لم تكن هي الباعثة على الرحيل في المرة الأولى . وإنما هي التي اضطرته للرحلة مرة ثانية ، وجعلته يستقر بفاس .

والذي جعلنا لا نشك في وجودها كلام المقري نفسه في مقدمة أزهار الرياض الذي يحنّ فيه إلى بلاده ، ويشكو من مفارقة مرتع الصّبا ، وبلد الأهل والأحباب . ومع ذلك لا يستطيع الزيارة ، ويشكو أيضا من

---

(١) ص ٤٥ من تعريف الخلف . . .

(٢) يقول الاستاذ الشرايبي (من فاس) في مقال نشره عن المقري في مجلة الرسالة س ١٩٣٥ عدد ١٠١ و ١٠٢

إن أبا العباس ، حركته نفسه الطموح إلى مشاهدة آثار الفن الاندلسي الجميل ، فرحل إلى فاس وارثة الحضارة الاندلسية ، ولم يستدل على ذلك بدليل ، وهو في أشد الحاجة إليه ، لان تعليل رحلته إلى فاس ذاك التعليل غير مطمئن إليه ، ولا تؤيده حياة المقري الاولى ، ولا كلامه .

رزايا الدهر ، وضرباته « . . . وكثيرا ما يحرك ذلك (يعني رسائل الأقارب والإخوان) مني كامن الشوق ، شبّ عمْره عن الطوْق (١) . وأجد من لواعج الأوار ما وجده الفرزدق عند مباينة النّوار (٢) :

بلادُ الجزائر ما أمرّ نواها * كلف الفؤاد بحبها وهواها
يا عاذلي في حبّها كن عاذري * يكفيك منها ماؤها وهواها

. . . وكنا نحسب أن الدهر لا يدور ، وأن الأعجاز صدور ، والأهلّة بدور حتى ضرب الدهر ضرباته ، وبدّد الرفيق من ذلك الفريق وأبانه . فلم تتأوّد قدود الأغصان ، ولم تترنح أعطاف البان ، وانقطعت الأسباب ، عن مواصلة الجيران والأحباب . . . وها أنا الآن أحاول إطفاء لهيب بالضلوع وقد ، وأعالج أدواء سقم جلّ ، وكيف لا وقد :

رُوّعت بالبيْن حتى ما أراع به * وبالمصائب في أهلي وجيراني
لم يترك الدهر لي علقا أضنّ به * إلاّ رماه بفقد ، أو بهجران (٣) »

واستقر المقري بفاس التي كانت تزخر بالعلماء والأدباء ، وكان ذلك

---

(١) تضمين للمثل الذي قاله جذيمة الابرش لعمرو بن عدي ، ابن أخته رقاش حينما رأى عليه طوقا من ذهب ، طوقته به أمه بعد غيبة طويلة . والمثل « شب عمرو عن الطوق » أو « كبر عمرو عن الطوق » انظر قصة المثل في تاج العروس مادة طوق ج ٦ ص ٤٢٨ - أمثال العرب للضبي ص٨٦ط مصر س ١٩٠٩

(٢) يشير إلى قول الفرزدق :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار

(٣) الازهار ج ١ ص ١١

في فاتحة عصر السلطان أبي المعالي زيدان السعدي بعد ما قضى أحمد المنصور سنة ١٠١٢ هـ

وسنحت الفرصة له للدرس والبحث ، وإظهار تفوّقه الذي كان يشعر به في دخيلة نفسه ، وإن كان يتظاهر بالعجز والقصور ، وتلك نغمة العصر التي يبالغ فيها البعض إلى درجة تحقير النفس المتكلف ، ووصْم الذات بما يعيبها أشد العيب .

قال عبد الكريم الفكون مفتي قسنطينة في مطلع القرن الحادي عشر الهجري« والعذر لي أنني لستُ من أهل هذا الشان ، والاعتراف بأنني جبان وأي جبان ، والكمال لكم في الرضا والقبول ، والكريم يُغضي عن عورات الأحمق الجهول (١) »

ما أشدّ حاجته إلى ترك هذه الأوصاف المخجلة ، ولكنه التواضع المزيّف الممتد الذيول !

واتصل المقري في فاس بالأشراف السعديين ، وفي مقدمتهم السلطان زيدان الذي مكّنه من مكتبته ، وتولّى في أيامه منصب الإفتاء الذي بقي فيه ١٣ سنة (٢) ويقول المحبّي (٣) أن الفتوى صارت للمقري في زمن أحمد المنصور . وهذا يبدو غير صحيح : لأن المقري بقي في منصب الإفتاء ، حتى رحل إلى المشرق سنة ١٠٢٧ هـ فإذا تولى المنصب في زمن المنصور ،

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ٢٣٩
(٢) راجع الفكر السامي للشيخ الحجوي ج ٤ ص ١١٠
(٣) خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٠٢

تكون المدة التي قضاها في الخطة أكثر من ١٣ سنة ، كما أن رجوعه إلى تلمسان ، وخروجه منها لأسباب مكرهة غير مباشرة أعماله في فاس ، يدل على أنه لم يتقلد الإفتاء في رحلته الأولى إلى فاس .

وذاع صيت المقري في فاس ، سيما بعد ما ألف كتبا كثيرة منها أزهار الرياض ، وتولى بعد وفاة الشيخ الهراوي سنة ١٠٢٢ هـ الإمامة والخطابة بجامع القرويين ، وسكن في دار ابن عبّاد الملاصقة للجامع ، كما أخبرنا بذلك وهي الدار التي يسكنها خطيب الجامع ، ولم تزل قائمة الذات إلى الآن . ويفهم من كلام عبد الله عنان ، أن المقري تولى الإفتاء بعد الإمامة والخطابة وهذا غريب من الأستاذ ، والمقري يقول « على أني سكنت محلّه (يعني ابن عبّاد) لما توليت الخطابة والإمامة من جامع القرويين بفاس المحروسة مظافين إلى الفتوى (١) »

ولم يزل المقري في فاس يتمتع بحظوة وتقدير ، ومكانة علمية مرموقة بين طلاب المعرفة ، إلى أن رحل إلى المشرق قاصداً حج بيت الله الحرام ، وفي نفسه أشياء ليس منها الطواف ، وترك المخيط .

رحلته إلى المشرق :

بعد إقامة طويلة في مدينة فاس التي طالما تغنّى بمحاسنها المقري ، وأشاد بجمالها ، وجوّها الشعري الساحر « . . . ديباجها ريمبّي ،

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ١٧٧ الطبعة الازهرية

وامتزاجها بالنفوس طبيعي ، ولم لا وقد نظمت المفاخر ، ونسّقتها ، وجمعت المآثر ، ووسَقتها . جادتها غرُّ السّحب ، وسقتها :

بلادٌ بها الحصباءُ درٌّ وترْبُها * عبير ، وأنفاس الرياح شمول

تسلسل منها ماؤها ، وهو مطلقٌ * وصبح نسيمُ الرّوض ، وهو عليل

تولى أبو العباس خلال هذه الإقامة مناصب عليا ، وحظي بالرضا من العلماء والأدباء ، وأهل القصور .

بعد هذه الإقامة الحبيبة إلى النفس ، يضطر إلى الرحيل . فيركب البحر مسرعا ، واصفا أهواله ، وجلًا من مطاردة القرصان النصارى .

ما الذي اضطره إلى هذه الرحلة يا ترى ؟

إن الحوادث المتصلة الحلقات بالمغرب الأقصى ، والتي اشتد أوارها بعد وفاة المنصور الذهبي ، إلى انقراض دولة السعديين ، وما تعرضت له فاس خلال هذه الفترة من شدائد وأهوال ، ليس أشدّها رمي الأطفال في القدور (١) إن هذه الحوادث وحدها ، تكفي بأن تكره المقري العالم الذي هو في مسيس الحاجة إلى الاستقرار ، على الرحيل . أما وقد كان للمقري بها اتصال وثيق ، فما من رحيله بدّ ، وما لإقامته من سبيل .

وهذا الاتصال علله الشيخ مخلوف بقوله « وسبب خروجه من فاس : أن سلطانها طلب من العلماء فتوى في أمر نزل ، وإعطاء العرائش للنصارى ، فأفتى من أفتى ، وهرب جماعة منهم صاحب الترجمة (٢) »

---

(١) الاستقصاء ج ٣ ص ١٢٠

(٢) شجرة النور الزكية ج ١ ص ٣٠٠

والذي يبدو أن سبب خروجه من فاس ، وتوجهه إلى المشرق ، ليس هذا الذي ذكره الشيخ . وإن كانت قصة الفتوى ثابتة . فقد حدثنا التاريخ أن الشيخ المأمون بن المنصور السعدي ، ذهب إلى ملك إسبانيا مستعينا به على أخيه السلطان زيدان ، ولما أبى الملك إعانته ، راوده الشيخ على ان يترك أولاده ، وحشمه رهنا عنده ، فقبل الملك الإعانة بعد ما قبل المأمون تسليم المراسي للنصارى عند ما يتم له الأمر . ولما تم له الأمر سلم المراسي وسُمع لتمة الشعب هديرٌ . وويل للملوك من هدير الشعوب الثائرة ! !

فما هي الحيلة التي سيخفف بها المأمون من الفليان إن لم تسكن فتوى من علماء الدين ؟

وكُتب سؤال « هل يجوز أن يفدي السلطان أولاده المرهونين بثغر المراسي » وعُرض على علماء فاس . فقضي بالقبول ، و « حكم الجواز » وكان من بين هؤلاء العلماء الذين عرض عليهم السؤال أحمد المقري الذي اختفى هو ، وجماعة مدة ، حتى صدرت الفتوى (١)

والذي جعلنا نشك كل الشك في أن تكون هذه القصة سبب خروجه من فاس : لأنها وقعت سنة ١٠١٩ هـ أي قبل رحلة المقري بسبع سنين ، وكلام الشيخ مخلوف ، يفهم منه أن المقري خرج فاراً إلى المشرق ، لما طُلبت الفتوى . وهذا ليس حقا ، بل المقري بقي في فاس بعد ذلك ، وتولى الإمامة والخطابة مما يدل على مكانته عند السلطان .

---

(١) الاستقصا ج ٣ ص ١٠٦

أما سبب رحلته الذي يبد وأنه الواقع ، هو اتهامه بالميل إلى جماعة شراقة . فقد كان عبد الله بن الشيخ الذي يظهر أنه يعطف على أبي العباس ، يعتمد الاعتماد كله في معاركه ، وإخماد الثورات على شراقة ، وهم عرب بادية تلمسان ، وما هو قريب منها ، وسُمّو بذلك ؛ لأنهم في ناحية الشرق من المغرب الأقصى ، والعامة يلعنون ، فيقولون شراكة ، وشعور عبد الله بأنهم أنصاره ، وهم الذين مكنوه من الأمر ، جعله يبيح لهم أرزاق الناس وأعراضهم .

ودخل هؤلاء البدو مدينة فاس ، فعم الاضطراب ، وكثر الاعتداء ، وانتهكت الحرمات ، فغضب أهل فاس ، وثاروا بقيادة أبي الربيع سليمان الزرهوني ، وقاتلوا جنود السلطان ، وأخرجوهم من المدينة .

ولما ضعف أمر السلطان ، وتهمة الميل إلى شراقة ، لصقت بأبي العباس ، خشي على نفسه من أهل فاس ، فخرج مسرعا ، واجف القلب .

وإذا رجعنا إلى المقري نفسه ، فإننا نجده يلوّح تلويحا ، ويومض إيماضا ، وينفر من التصريح والإبانة ، فرار ذي الفعلة النكراء من نفسه ، كعادته في الدوران والاحتراز في مثل هذه المواقف ، فهو لا يعلمنا بسبب رحلته في صراحة ووضوح ، وإنما يقول « إنه لما قضى الملك الذي ليس لعبيده في أحكامه تعقّب ، أوردّ . . . برحلتي من بلادي ، ونقلتي عن محل طارفي وتلادي ، بقطر المغرب الأقصى الذي تمت محاسنه ، لو لا أن

سياسة الفتن سامت بضائع أمنه نقصا ، وطما به بحر الأهوال . . . وذلك أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الألف (١) »

ولكنه لا يعلمنا لماذا طاب منه السلطان الرحيل ؟ سيما والسلطان الذي هاجر في أيامه ، هو الذي ولاه منصب الإمامة والخطابة ، وهو الذي جلب جماعة شراقة الذي اتهم أبو العباس بالميل إليها .

والملاحظ أن المقري في مناسبة أخرى لا يشير إلى أمر السلطان ، وإنما يقول : إنه خرج قاصدا الحج الذي جعله مطيّة لغيره « ثم ارتحلت بنيّة الحجاز ، وجعلت إلى الحقيقة المجاز (٢) »

وهكذا خرج المقري من فاس مختفيا ، تسمع لقلبه وجيبا ، وتعلم أن لنفسه حديثا وأي حديث ، بعد ما دخلها مقبلا على الدرس والتحصيل ، متمتّعا بجمال المدينة ، مرتاحا لرقة أهلها ، بينه وبين الصدارة في بلاط المنصور صلة وثيقة . وبينه وبين الحظوة عند أبي المعالي زيدان صلة أوثق .

المقري في الحجاز :

ها هو ذا أبو العباس ، تضطره عوامل قاسية إلى مغادرة فاس ،

---

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٢٨ ، وأنبه هنا أن عبد الله عنان بعد ما أحال على النفح عند إشارته لهذه الفقرة في حديثه عن أسباب رحلة أبي العباس إلى المشرق ، أحال أيضا على أزهار الرياض ج ١ ص ٣ وهذا غير صحيح ، لان إشارة المقري في الازهار ، تتعلق برحلته من تلمسان إلى فاس ، لا من فاس إلى المشرق .

(٢) نفح الطيب ج ٩ ص ٣٤٢

وإكراه النفس على غير ما تود ، فيعقد العزم على الرحيل في أواخر رمضان سنة ١٠٢٧ هـ ويعبر بمراكش ، وينشد صاحبها متمثلا بقول علي بن عبد العزيز الحضرمي :

حُبّتي تقتضي مُقامي * وحالتي تقتضي الرحيلا

فيجيبه صاحب مراكش بقوله :

لا أوحش الله منك قوما * تعوّدوا صنعك الجميلا

ولكنّ بيت شعر لا تبطل عزما من ورائه خشية ، وفي نفس صاحبه هواجس ، وفي مستقبله ظلمة ، فلا يسكن هذا الخافق ، إلاّ بعد الابتعاد عن وسط الفتنة والكيد .

ويركب المقري البحر من ثغر تطاوين بغرب الجزائر (١) في ذي القعدة من سنة ١٠٢٧ هـ ويهول البحر ، وتتكسّر المجاديف ، ويشرف المركب على الهلاك ، وتيأس النفوس من النجاة ، فيرسل المقري مثال النعل الشريف إلى ربان السفينة : ليتوسل به ! وينجى المركب من الغرَق ، ويصل إلى تونس : ليسافر منها إلى ثغر سوسة وفي هذه المرحلة ، تشتد الأمواج من جديد ، وتبعث في النفوس الرّوْعَ ، وظلمة الحياة .

ولم يزل البحر يقسو على المركب مرة ، ويلين أخرى ، ولمْ تزل نفوس راكبيه بين فسحة الأمل ، وظلمة اليأس ، حتى وصل المركب

---

(١) راجع ص ١٨٧ من فتح المتعال مخطوط بالصادقية رقم ٩٧٥

الإسكندرية ، ومن هناك قصد المقري القاهرة ، ولما وصلها بهرته معالمها ومحاسنها ، فإذا هو ينشد قول ابن مياتي :

جزيرةَ مصر لا عدتْك مسرّةٌ * ولا زالت اللذاتُ فيك اتصالها
فكم فيك من شمس على غصن قامة * يميت ويُحيي هجرُها ووصالها

ويقيم مدة قصيرة في القاهرة ، ثم يركب البحر قاصداً أرض الحجاز ، أو « المهم الأعظم ، والمقصد الأكبر » كما يلذّ له أن يقول ، وتطأ قدماه تراب مكّة ، ويستولي عليه شعوره الديني ، فإذا هو في غيبوبة صوفيّة ، وإذ هو حين يبصر البيت الحرام ، يغيب عن الوجود ، أو يكاد (١) وينشد قول الشبلي :

قلت للقلب إذ تراءى لعيني * رسمُ دار لهم ، فهاج اشتياقي
هذه دارهم ، وأنت محبٌّ * ما احتباس الدموع في الآماق ؟
والمغاني (٢) للصّبّ فيها معاني * فهي تُدعى مصارع العشّاق
حُلّ عقد الدموع ، واحلُل رباها * واهجر الصبر ، وارع حق الفراق

وفي أوائل ذي القعدة من سنة ١٠٢٨ هـ أتمّ المقري العمرة ، وبقي يترقب أيام الحج . ولما أدى فريضة الحج ، أراد أن يقيم في مكة . ولكن حال من دون ذلك حائل . وقصد بعد ذلك المدينة المنوّرة . ولما قضى مدة بجوار الرسول عليه الصلاة والسلام ، رجع الى مصر في محرم سنة ١٠٢٩ هـ

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٥٠
(٢) المنازل .

وتردد كثيرا بعد ذلك على مكة والمدينة ، فلم يأت صفر سنة ١٠٣٧ هـ حتى كان قد زار مكة خمس مرات ؛ وزار المدينة أيضا سبع مرات.

وفي خلال هذه الزيارات الكثيرة ، جاور في مكة مدة من الزمن كما كانت التقاليد في ذلك العصر ، وألقى بها دروسا كثيرة ؛ وأقام في المدينة زمنا مكّنه من التأليف (١) وإلقاء دروس في الحديث الشريف بالروضة النبويّة .

ومن الأماكن المقدسة التي زارها المقري بيت المقدس ففي ربيع سنة ١٠٢٩ هـ رحل إليها ، ثم عاد الى القاهرة ، ثم عاد إليها مرة ثانية في أوائل رجب سنة ١٠٣٧ هـ وبقي هنالك ٢٥ يوما ، وألقى بالمسجد الأقصى ، والصخرة المنيفة عدة دروس ، وزار البقاع المقدسة هناك .

وهكذا يتبيّن لنا أن كلف المقري بالأماكن المقدسة ، كان شديدا ، فكلما سنحت له فرصة لزيارة أحد المساجد الثلاث ، إلاّ اغتنمها ، وحسبها منة من الله وفضلا ، وهذه الزيارات تكشف لنا عن جانب كبير الأهمية من جوانب شخصية المقري ، فهي تُبين عن إحساسه الديني المسيطر ، وتصوّفه الغير الواعي ، وفراغ حياته مما يقتضي الاستقرار ، ويُشعر بالزمن ، فهو إما يحرر في موضوع ما ، أو قل يجمع ما حفظ فيه ، أو يلقي درسا من الدروس ، يعقبه إمطار يده تقبيلاً ، أو هو يشق البحر ، أو ينهب الأرض نهبا لأحد المساجد الثلاث .

---

(١) عند الحديث على مؤلفات المقري ، سأشير إلى الموضوعات التي كتب فيها بالمسجد النبوي .

وليس من التعمق البعيد في البحث أن نرى أن لاضطراب حياة المقري الخاصة ، وكساد سوق المعرفة ، ولمتاعب عيشه ، ومشاكله الزوجية ، أثرا فعّالا في هذه الزيارات « والتبرك » وإن كان ذلك أظهر ميزة العصر .

المقري في دمشق :

سمع أبو العباس كثيرا عن أهل دمشق ، ونبل أخلاقهم ، وجمال بلاد الشام ، وحسن معالمها . أليست بها الغوطة الغناء ، وبَرَدَى المنساب في هدوء وصفاء ؟

سمع المقري ذلك ، وأكثر منه ، فتاقت نفسه إلى عاصمة الأمويين ، وحنّ لتلك الديار ، ولكنه لم يسرع في الرحيل ، حتى اجتمع في مكة بالشيخ عبد الرحمن بن شيخ الإسلام عماد الدين ، فزاده رغبة في زيارة دمشق ، ورياضها ، وجامعها الأموي البديع الهندسة .

وبقيت هذه الرغبة تلح حتى منتصف شعبان سنة ١٠٣٧ هـ فعزم على زيارة دمشق — وهو إذاك في بيت المقدس — فدخلها في أواخر شعبان(١) من تلك السنة ، وبهرته دمشق ، وشعر فيها بامتداد الأمل ، وانشراح الصدر . وإذا أبو العباس ، ينشد في نشوة وسرور :

تزيد على مر الزمان طلاوة * دمشق التي راقت بحلو المشارب
لها في أقاليم البلاد مشارق * منزهة أقمارها عن مغارب

(١) في خلاصة الاثر أنه دخل في أوائل شعبان س ١٠٣٩ هـ . وهو خطأ .

وطلب في دمشق مسكنا ، يكون قريبا من الجامع الأموي ، فأنزلته المغاربة في مكان لا يليق به ، وكأنهم أرادوا ألاّ يبرحوه من حسد أبناء وطنه الذي شكا منه في تألم ، وقلق . ولما سمع به أحمد بن شاهين أرسل إليه مفتاح المدرسة الجقمقية (١) مع قصيدة عبر فيها عن ابتهاجه بقدومه (٢) .

وأكرمه علماء دمشق ، وأدباؤها إكراما لم ير مثله في مكان آخر ، حتى في مدينة فاس . « . . . فلما حللت بدارهم ، ورأيت ما أذهلني من سبقهم للفضل وبدارهم (٣) صدق الخبر » وأشاد كثيرا بفضل عبد الرحمن ابن عماد الدين ، وبفضل أحمد بن شاهين خاصة ، وأشار إلى مكانته في نفوس أعيان دمشق « . . . فكم له (يعني ابن شاهين) أسماه الله ، ولغيره من أعيا دمشق الدّي من أياد ، يعجز عن الإبانة عنها ، لو أراد وصفها قُسّ إياد »

أما مكانته العلمية ، وشخصيته الأدبية ، فقد طغت في دمشق على كل مكانته ، وأصبح أبو العباس شيخ الأدباء والعلماء ويكفيك دليلا ذلك

---

(١) هي شمالي الجامع الاموي أسسها سنجر الهلالي وولده شمس الدين فانتزعها الملك الناصر حسن س ٧٦١ هـ وأمر بعمارتها ، فبنيت بالحجر الابلق ، وجاءت في غاية الحسن ، واحترقت في فتنة تيمور ، فجدد بنيانها سيف الدين جاقماق ، وخص الخانقاه بالصوفية . وأضاف إليها مدرسة للايتام وتربة ، ودرس بها جماعة . وجعلت في القرن الماضي مدرسة للذكور ، وهي اليوم في حالة خراب ، أو ما يقرب منه . انظر خطط الشام ج ٦ ص ٩١ ط دمشق س ١٩٢٨

(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١٧٠

(٣) يعني المبادرة

اليوم الذي لم يزل المؤرخون يشيرون إليه ، وهو يوم الأربعاء ١٧ رمضان سنة ١٠٣٧ هـ الذي ألقى فيه درسا بالجامع الأموي حضره الكبار والصغار ، حتى ضاق بهم المكان ، وأدهش السامعين بغزارة علمه ، وقوة حافظته ، وفصاحة لسانه . واعترف الدمشقيون للمقري بالفضل والعلم . فتقاطر عليه طلاب الإجازة ، وتزاحم الناس في الأخذ عليه . ولقد أشار بنفسه إلى مكانته المرموقة بعد جحود ونكران في غير دمشق « فهم الذين نوّهوا بقدري الخامل ، وظنوا مع نقصي أن بحر معرفتي وافر كامل . حسبما اقتضاه طبعهم العالي ، فلو شريت بعمري ساعة ذهبت من عيشي معهم ما كان بالغالي »

وكان لأهل دمشق فضل على الثقافة العربية ، والأدب المغربي خاصة ؛ لأن فكرة تأليف نفح الطيب لم تدر بخلد المقري إلا هناك ، وسأشير إلى اتصالها عند الحديث على ظروف تأليف النفح .

لم يزل أبو العباس في حظوة وإكرام على ضفاف بردى إلى أن رجع إلى القاهرة أواخر شوال سنة ١٠٣٧ هـ (١) وقد تألم كثيرا لهذا الفراق الذي يبدو أنه مكره عليه كما سيأتي بيانه ، فهو يخبرنا بأنه قبل أن يزور دمشق كان في حنين دائم إلى وطنه . أما بعد أن زارها ، فإن شوقه ضعف ، وأصبح هواه مقسّما « . . فكأنها بلدي التي بها ربيت ، وقراري الذي

---

(١) في خلاصة الأثر خامس شوال س ١٠٣٩ هـ وهو خطأ . راجع نفح الطيب ج ٩ ص ٣٤٢ . وأنبه هنا أن المقري يقول في مكان آخر أنه أقام بدمشق إلى أوائل شوال .

لي به أهل وبيت . . وها أنا إلى هذا التاريخ لا أرتاح لغيرها من البلدان ، ولا يشوقني ذكر أرض بابل ، ولا بغدان (١) »

ولم تُنس القاهرة الشام ، وفضل أهله ، فإذا هو ينشد على ضفاف النيل متألما الفراق نسيم الغوطة ، وأهل دمشق :

أحبتنا والله مـذ غبت عنكم * سهادي سميري . والمدامع مدرار
ووالله ما اخترت الفراق ، وإنه * برغمي ولي في ذلك الأمر أعذار
إذا شام برق الشام طرفي تتابعت * سحائب جفني . والفؤاد بـه نار

لم يزل حنين المقري إلى دمشق ، وإلى تلك الأيام التي قضاها هنـاك مطمئنا ، ولولا أسباب تربطه بالقاهرة يتألم لها ، لم يزل يراوده على العودة ، ولكنه رغم شوقه الملحاح لم يخبرنا أنـه رجع مرة ثانيـة إلى الشام إلى سنة ١٠٣٩ هـ أي السنة التي أتم فيها تأليف نفح الطيب كما سيأتي ، ويعلمنا صاحب خلاصة الأثر أن المقري عاد مرة ثانيـة إلى دمشق في أواخر شعبان سنة ١٠٤٠ هـ.

وهكذا كان تعلق أبي العباس بعاصمة الأمويين شديدا ، وكان صادق الحب لأهلها ، ففيها نال الإعجاب والتقدير . وخفت وطأة الحياة . ومتاعب العيش ، ووجد في طبيعتها مـا عهده في جو تلمسان وفاس من مياه تنساب ، فتنسي جدب الحياة ، ورياض تضوع ، فتشغل عن تعفن الوسط الذي زاده الحكم التركي كراهة .

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ١٤٨

المقري في مصر :

يقول المقري أنه دخل مصر في رجب سنة ١٠٢٨ هـ (١) ويبدو أن دخوله هذا ، هو الأول وقبل ذهابه إلى الحج . وما جاء في خلاصة الأثر من أن المقري ورد مصر في رجب سنة ١٠٢٨ هـ بعد أن أدى فريضة الحج فغير صحيح : لأن المقري يصرح أنه بعد رحلته البحرية والبرية الشاقة ، وصل إلى مصر ، فبقي فيها مدة قليلة ، ثم قصد الحرمين الشريفين . وهو القصد الأول كما يفهم من كلامه . فهو إذن زار مصر في التاريخ المذكور قبل أن يحج ، ويدل كلام المحبي أيضا على أن المقري بلغ المشرق في أواخر سنة ١٠٢٧ هـ وذلك الذي صرح به عبد الله عنان (٢) وهو غير صحيح فيما يبدو : لأن المقري يذكر لنا أنه ركب البحر من غرب الجزائر في ذي القعدة سنة ١٠٢٧ هـ ويشير إلى أهوال البحر ، وتوقف السير عدة مرات « وحصل لنا في هذه السفرة أيضا أن الريح منعتنا من السفر ، ونحن في ساحل بلاد العدو الكافر (٣) » إذن فالمدة لا تكفي للوصول إلى مصر بله الحج ، ويقول لنا المقري أيضا أنه أضاف شيئا لحاشيته « إفادة المغرم المغرى

---

(١) نفح الطيب ج ٩ ص ٣٤٢

(٢) انظر تراجم إسلامية ص ٢٤٧ وجاء أيضا في آخر نسخة مخطوطة من « إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة » ضمن مجموعة بخزينة جامع الزيتونة رقم ٢١٤٢ أن المقري دخل مصر لاول مرة س ١٠٢٢ هـ وذلك خطأ .

(٣) من فتح المتعال

بتكميل شرح الصغرى » بثغر الإسكندرية سنة ١٠٢٨ هـ (١) ويظهر أن ذلك كان بإثر وصوله إلى مصر من المغرب.

وبعد ما أدى أبو العباس فريضة الحج، وزار المدينة، رجع إلى مصر في محرم سنة ١٠٢٩ هـ ليعود منها إلى وطنه، ولكن عاقته عن السفر عوائق فأقام بها، يترقب سنوح فرصة، وأشاد في أول إقامته، بمصر وأهلها « فإذا ذكر العلم، فهم سباق غاياته، أو الفهم فهم رافعوا رايته، أو الإحسان فشموس آياته، أو القرآن فحافظوا آياته، ذات الأزهر الأبهى الأبهر (٢) » وما هي إلا مدة تمر، حتى تنكر له القاهرة، ويضجر المقري من المقام فيها، فإذا هو يسافر لأقطار أخرى، ولكنه يعود إليها مضطرا من حين لآخر. وإذا بحثنا عن أسباب هذه النفرة من المجتمع القاهري، فسنجدها كثيرة منها مشاكل الأسرة، ومصاهرة الوفائيين؛ ومنها متاعب العيش، فقد فقد المجتمع القاهري « في ظل النير التركي بهاءه وسعته ورخاءه، وعفت روعة الأزهر الذي كان من قبل موئل الوافدين من كل صوب (٣) » وقبل هذا كله ما شعر به في الوسط الثقافي إذاك من تنكر وجحود، وما تنطوي عليه نفوس أكثر العلماء من حسد، وما يظهرونه من عدم مبالاة بكل ما هو مغربي، ولقد أشار إلى

---

(١) انظر آخر الحاشية نسخة مخطوطة ضمن مجموعة رقم ٢١٠٣ بخزينة جامع الزيتونة، وسيأتي الحديث عليها.

(٢) من مقدمة فتح المتعال.

(٣) انظر تراجم إسلامية ص ٢٤٩

هذا في كتابه فتح المتعال بعد ما ذكر رسائل كثيرة ، وردت عليه من المغرب ، وأشاد بأصحابها « . . أن أهل المشرق . . غير محققين فضيلة المصريين من أهل المغرب » وتدل على هذا الشعور حوادث كثيرة كتلك التي أشار إليها ، وقد جمعه ناد في القاهرة ببعض العلماء ، وأدى بهم الحديث إلى الكلام على النعل النبوي ، فإذا بأبي العباس يعلن أنه يحفظ في الموضوع أكثر من مائة قافية ، وتلك القصة التي رواها أبو علي اليوسي المراكشي (ت س ١١٠٢ هـ) في محاضراته (١) عن شيخه أبي عبدالله الدلائي.

ورغم هذه النفرة من المصريين ، فإن أبا العباس تبوأ مكانة علمية مرموقة في القاهرة ، وتولى التدريس بالأزهر . والحسد المشار إليه ، لم يغز في الحقيقة قلوب جميع العلماء إذ الـ . فنحن نجد قاضي القاهرة عبد الكريم الفيمي يقول « واستبشرنا من أنفاس معارفه بعود دروس قد درست . . . فدعونا الله تعالى بأن يديم إقامته بهذه الديار نفعا للطلبة . بل وللعلماء الأبرار (٢) »

وفي القاهرة تزوج المقري من عائلة تمتع بحظوة وجاه . من اتصلت أسبابه بها ، فقد نال شرفا عظيما في نظر الناس إذاك ، ولكن هذا الزواج ، لم يكن موفقا ، وهذه المصاهرة لم تعد بخير على المقري ، فتضاعفت متاعبه وزاد قلقه ، ويبدو أنه صعب عليه الفراق لما يرى فيه الناس من كفران بالنعمة وجحود للشرف الذي أحرز عليه بالمصاهرة ، فصبر وتصبّر ، ولكن سبب

(١) راجع المحاضرات ص ٥٧ ط فاس س ١٣١٧ هـ

(٢) راجع رسالته في آخر فتح المتعال مخطوطة الصادقية رقم ٩٧٥

القلق – فيما يبدو – له أثر لا يمكن تغافله . واهتزت القاهرة في يوم من الأيام لخبر « تطليق » الشيخ المقري للوفائية ، ونُظر لأبي العباس نظرة احتقار ، وبلغ الأمر إلى درجة أنه لم يبق في القاهرة من يسلم عليه إلا رجل حداد كما أخبر طلبته بالقرويين . والذي شجع المقري على الطلاق فيما يظهر موت ابنته التي كانت السبب الوحيد الذي يصل بينه ، وبين الوفائية .

والذي دلنا على أن ابنته توفيت قبل الطلاق ، هو رسالة ابن شاهين المؤرخة يوم السبت غرة جمادى الأولى سنة ١٠٣٨ هـ والتي يقول فيها « وأما المخدّرة الصغيرة ، فالمصيبة بها كبيرة ، إذ الأمومة مقرّية ، والخؤولة وفائية ، فهي ذات النجارين ، وحائزة الفخارين (١) »

ووجد أعداء المقري في هذا الطلاق فرصة للطعن ، وظهرت الغيرة في مظهر اللوم ، واللؤم جاحد الفضل . وهكذا استحالت القاهرة بؤرة نفاق وكيد في نظر المقري ، مع انطفاء شعلة الفكر ، وتطاول الأقزام (٢) فإذا هو ينشد في ألم ، وحسرة من خاب أمله العريض :

تركتُ رسومَ عزّي في بلادي * وصرت بمصر منسيّ الرسوم
ورضت النفس بالتجريد زهداً * وقلت لها عن العلياء صومي
مخافةَ أَن أرى بالحرص ممن * يكون زمانُه أَحدَ الخصوم

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ٢٢٤

(٢) انظر ما عامل به شهاب الدين الخفاجي رحلة المقري من مصر إلى الشام في كتابه ريحانة الالبا . . ص ٢٨٥ ط مصر س ١٣٠٦ هـ

حنينه إلى وطنه :

إن من الأمل لشقوة إذا محقته خيبة كان لها في النفس شدة وقع ، وعمق أثر . وذلك ما شعر به المقري في المشرق . فهو حين كان في فاس مهما يظن أن المشرق ضعف أمره ، وقل نشاطه ، وتدهورت ثقافته ، فإنه لا يستطيع أن يتصوّر ما وجده . ونظرة المغربي للمشرق على أنه مصدر الإشعاع والإنقاض قديمة ، قدم الإسلام في شمال افريقيا .

إذن فقد خاب أمل أبي العباس . ظن أنه سيجد سوقا نافقة للأدب والعلم ، فإذا به أمام كساد قاتل ، ونفوس مريضة ؛ وظن أنه سيطلع على ثروة عظيمة من الكتب النفيسة ، فإذا به أمام جدب في الكتب وأهلها . فيتذكر مدينة فاس ، وحلقاتها ، ومكتباتها ، ومجالس الأدب فيها ، فيحن ، ويشتدّ حنينه ، وينوي العودة ، ولكنه لا يستطيع إليها سبيلا ، فيزداد شوقه إلى مرتع الصبا ، وبلد الأهل والأصدقاء ، وتمر به تلك الذكريات الجميلة في تلمسان ، وفي فاس ، فيقول « ولم أزل بعد انفصالي عن المغرب بقصد الشرق ، وانصالي في أثر ذلك الجمع بالفرق :

أحنّ إذا خلوت إلى زمان * تقضّى لي بأفنية الربوع
وأذكر طيب أيام تولّت * لنا فتفيض من أسف دموعي

وأتلوق وقد اتسع من البعد الخرقُ . وخصوصا إذا شدا حادح ، أو أومض برق إلى ديار لا يعدوها اختيار »

والمقري رغم ما فيه فاس من اضطراب وفتنة ، وما اتهم به فيها ، فإننا نجده يقرر الرجوع إلى الوطن (١) وإن خرج منه مضطرا ، وناقما . . . وما ذلك إلاّ لخيبة أمله في المشرق ، والصدمة النفسية التي تعرض لها بعد انقطاع رجائه منه ، وقد كان عظيما . ولما دخل دمشق ، وجد فيها تعويضا لشيء من أمله المنهار . فإذا حنينه لبلاده يضعف إلحاحه ، ويخفت صوته .

ولذلك نراه حين شعر بِبُعْد العودة ، وبلغ إليه خبر وفاة أمه (٢) ، وانقطعت أسبابه من القاهرة بموت ابنته ، وفراق أمها . يعزم على الرحيل إلى دمشق : ليستقر بها ، ولكنّ الموت حال بينه ، وبين تحقيق العزم .

وفاته :

توفي أبو العباس بالقاهرة في جمادى الآخرة (٣) سنة ١٠٤١ هـ (٤) ودفن صبيحة يوم السبت في مقبرة المجاورين (٥) وجاء في « تعريف الخلف »

---

(١) انظر رسالة قاضي القاهرة عبد الكريم الفيمي في آخر فتح المتعال مخطوطة الصادقية التي يقول فيها « غير اني فهمت من حاله الشريف ، أنه قوض للسفر الخيام ، سوقا للوطن »

(٢) انظر رسالة تعزية ، وردت إليه من ابن شاهين . نفح الطيب ج ٣ ص ٢٢٤

(٣) في اليواقيت الثمينة جمادى الاولى .

(٤) في سلافة العصر لابن معصوم س ١٠٤٦ هـ وفي ذيل كشف الظنون لاسماعيل باشا البغدادي ج ٢ ص ٢٣٦ أنه توفي س ١٠٤٣ هـ ويبدو أن رواية ١٠٤١ هـ هي الصحيحة .

(٥) هي إحدى المقابر الواقعة شرقي القاهرة ، وقد اندثرت الان . انظر « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردي ج ٩ ص ١٨٧ ط دار الكتب المصرية س ١٩٤٢

أنه مات مسموما بالشام . وهكذا ضمت القاهرة جسد المقري رغم نفوره منها ، وعزمه على مغادرتها .

رحم الله المقري فقد رما أمتعنا بنفح طيبه ، وأزهار رياضه .

ضبط نسبته :

إن تعثّر الألسن في النطق بهذه الكلمة ، دفع إلى إفرادها بالتأليف ، وإذا كان في هذا طرافة عند بعض الناس ، فإنه عند آخرين ضرب من ضروب الاعتناء القديم الجدوى ، لولا ما تعود به القدماء من الاستطراد المفيد أحايين .

أجل لقد ألف أبو عبد الله محمد الصغير الوفراني صاحب نزهة الحادي كتابا سماه « الوشي العبقري في ضبط لفظة المقري » وهذا الكتاب لم يطبع ، ولكن يظهر أنه معروف بالمغرب الأقصى (١) تحدث مؤلفه فيه عن صاحب نفح الطيب قليلا ، وبحث في ضبط لفظة المقري . وهذه النسبة يصح فيها وجهان في النطق .

الوجه الأول فتح الميم وسكون القاف وكسر الراء . وهذا مذهب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق المعروف بالحفيد الذي ألف كتابا سماه « النور البدري ، في التعريف بالفقيه المقْري » بناء على مذهبه الذي صرح به في شرحه على الألفية عند قول ابن مالك « ووضعوا لبعض الأجناس علم »

(١) انظر دليل مؤرخ المغرب الاقصى ص ٢٨٠ ط تطوان س ١٩٥٠

وقد تحدث في كتابه هذا عن أبي عبد الله المقري جد صاحب النفح (١) وضبطه أيضا بسكون القاف ابن الأحمر في فهرسته .

والوجه الثاني فتح الميم والقاف مع تشديده ، وكسر الراء . وهذا هو المرجح ، وهو مذهب الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ، الذي ضبط به اللفظة في كتابه العلوم الفاخرة (٢) وهو مذهب أبي العباس أحمد الونشريسي (ت س ٩١٤ هـ) صاحب كتاب المعيار المشهور ، وقد ألف الونشريسي كتابا في ترجمة أبي عبد الله المقري ، وهو مخطوط لم يطبع ، يقع في مجلد (٣) وهذا الوجه هو الذي اشتهر في أيام الزبيدي (٤) وعول عليه أكثر المتأخرين منهم المحبّي . والوجهان نسبة إلى مدينة مقّرة بالزاب ، ولكن يا قوت لم يذكر في هذه المدينة إلاّ فتح الميم ، وسكون القاف فقط (٥) ونحن إذا رجعنا إلى أبي العباس نفسه ، فإننا نجده يقرأ نسبته بتشديد القاف ، فهو يقول مثلا في مقدمة أزهار الرياض :

فيقول أحمد ذو التصو * ر المقّري إذا انتسب

وكذلك الذين عاصروه ، فإنهم ينطقون بالتشديد .

---

(١) انظر نفح الطيب ج ٣ ص ١١٠ الطبعة الازهرية .

(٢) راجع « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ص ٢٤٩ ط مصر س ١٣٢٩ هـ

(٣) انظر الدليل ص ٢١٩ وقد ذكر هذا التأليف أحمد المقري في النفح ج ٣ ص ١٧٧ ط بولاق ، وذكر هناك أيضا أنه كان يملك بالمغرب كتابا اسمه « الزهر الباسم » بخط مؤلفه ، ترجم فيه صاحبه لجده أبي عبد الله المقري .

(٤) تاج العروس ج ٣ ص ٥٤٨

(٥) راجع معجم البلدان ج ٨ ص ١٢٥ ط مصر س ١٩٠٦